البطل الذى لم يعد كذلك

بقلم :
د.م. نادر رياض
www.naderriad.com

فى مدينة من مدن الريف الاوروبى عاش السيد هيرمان جريجورى بطلا بين ابناء مدينته باعتباره احد رجال الاطفاء المرموقين التابعين لادارة الاطفاء الوحيدة بتلك المدينة الصغيرة والذى اشتهر بشجاعته وقدرته على انقاذ الارواح من بين براثن السنة النيران ليخرج بها سالمة رغم ما يعترض عمله هذا من اخطار.

وفى مساء يوم سبت من شهر اغسطس عام ٢٠٠٥ قضى الكابتن جريجورى نحبه فى حادث مأساوى اثناء مكافحة نيران شبت بمبنى متعدد الطوابق كان يزخر بالمتواجدين فيه الا ان احدا منهم لم يصب بسوء وذلك اثر انهيار حائط بالمبنى سحق تحته بطل المدينة السيد جريجورى. شيع جريجورى لمثواه الاخير فى جنازة شعبية ورسمية مهيبة لم يتخلف عنها احد من ابناءالقرية كما كان فى مقدمة المشيعين النائب البرلمانى وعمدة المدينة والذى اصدر قرارا بتنظيم جنازة عسكرية يمنح فيها علم الدولة لأرملة الفقيد ليتشح فيه النعش المهيب ويعاد اليها لتحتفظ به شهادة على بطولة الفقيد على المستوى القومى والرسمى.

لم تمض سوى خمسة واربعين يوما على هذا الحدث الا وقد نشرت احدى الصحف المحلية خبرا سريته ادارة الطب الجنائى من انه بتشريح جثة السيد جريجورى تأكد وجود نسبة من الكحول فى دمه بلغت ١,٨٪ وهى نسبة تصل الى ضعف الحد الذى لا يجوز معه قيادة السيارة وإلا يتم معه سحب الترخيص لمدة قد تصل الى عام كامل.

تساءلت الصحيفة عما اذا كانت حالة جريجورى تؤهله انذاك لأداء عمله بالصورة المثلى وثارت اسرة جريجورى ومعها جانب من الرأى العام بالمدينة يتهمون الصحيفة بمجافاة شرف المهنة ومحاولة تشوية صورة بطل اتفق على بطولته دون نزاع. . وردت الصحيفة ومعها جانب آخر من الرأى العام بالمدينة يؤيدون حق المواطن الاصيل فى ان يعرف الحقيقة دون تدخل بالمنع او الحذف او الاضافة.

وتوالت الاخبار بعد ذلك اثر تحقيق تولته النيابة العامة بالمدينة والذى كان مفاده ان السيد جريجورى كان فى يوم راحته وقت اندلاع حادث الحريق وكان تحديداً بنادى المدينة يشرب الخمر مع اصدقائه وانه عندما سمع بأمر حادث الحريق عن طريق جهاز اللاسلكى الشخصى الذى يحمله هرع الى ادارة الاطفاء لينضم الى زملائه فى التوجه لموقع الحادث وقد دعا هذا الامر جانب من الرأى العام ان يعلى من شأن سلوك جريجورى باعتباره ينم عن رغبة وطنية اكيدة رغم وجوده فى حالة اجازة الا ان جانباً اخر من الرأى العام ومنهم إحدى الصحف تساءلوا عن موقف قائد الاطفاء فى قبول انضمام احد افراده للفريق رغم كونه فى اجازة لا سيما وأن حالته لم تكن تنم على انه فى احسن حالاته واعلى الفريق الاول من شأن سلوك جريجورى من المبادرة بتعريض نفسه للخطر دفاعاً عن اهل مدينته مضحياً بحياته دونهم.

ورد الفريق الثانى بأن هناك فرقا بين ان يضحى البطل بنفسه وهو واقع تحت تكليف وطنى لاداء واجبه الوظيفى فى بطولة مشهود لها وبين ان يهدر حياته ملقيا بنفسه فى التهلكة على غير استعداد ودون أية ضرورة تبرر ذلك. ورغم استمرار الخلاف لفترة طويلة حول بطولة جريجورى وحقيقة ملابسات استشهاده المؤكدة وما اعتبر فى ذلك من منطق قابل للاختلاف حوله الا ان الحقيقة الثابته انتهت الى ان بطولة جريجورى ومكانته تأثرت كثيرا عما كانت عليه من قبل ان تتكشف هذه التفاصيل.

وما يفيدنا نحن المتأملون فى هذه الواقعة وصول المرء لأعلى درجات التقدير والاحترام هى فى واقع الامر عبء ادبى والتزام مهنى قبل ان تكون ميزة يتمتع بها صاحبها كما ان اى اخلال وان كان بسيطا فى الالتزام المهنى سواء تم هذا بقصد او بغير قصد أو كان ذلك خلال وقت العمل الرسمى او خارجه من شأنه ان يهدد المكانة المهنية لصاحبها.

جريدة الاخبار ٢٠٠٧/٨/٧

بقلم: د/ نادر رياض

البطل الذى لم يعد كذلك...

فى مدينة من مدن الريف الأوروبى عاش السيد هيرمان جريجورى بطلا بين أبناء مدينته باعتباره أحد رجال الإطفاء المرموقين التابعين لإدارة الإطفاء الوحيدة بتلك المدينة الصغيرة والذى اشتهر بشجاعته وقدرته على إنقاذ الأرواح من بين براثن ألسنة النيران ليخرج بها سالمة رغم ما يعترض عمله هذا من أخطار تحدق به شخصياً حيث شملت قائمة من أنقذهم عددا من الشيوخ والشباب والأطفال بخلاف عدد من الحيوانات الأليفة التى لم تخلُ منها قائمة الشرف الخاصة به.

عاش السيد جريجورى محطا للأنظار فى تلك المدينة الصغيرة متمتعا بحب الجميع وتقديرهم باعتباره بطل القرية دون منازع رغم أن رتبة كابتن التى يحملها كانت تعلوها الكثير من الرتب فى هيكله الإدارى انتهت بقائد إدارة الإطفاء وجميعهم لم يتمتع بتلك الحظوة الشعبية التى وصل إليها الكابتن جريجورى.

وفى مساء يوم سبت من شهر أغسطس عام 2005 قضى الكابتن جريجورى نحبه فى حادث مأساوى أثناء مكافحة نيران شبت بمبنى متعدد الطوابق كان يزخر بالمتواجدين فيه، إلا أن أحدا منهم لم يصب بسوء وذلك إثر انهيار حائط بالمبنى سحق تحته بطل المدينة السيد جريجورى. شيع جريجورى لمثواه الأخير فى جنازة شعبية ورسمية مهيبة لم يتخلف عنها أحد من أبناء القرية كما كان فى مقدمة المشيعين النائب البرلمانى وعمدة المدينة والذى أصدر قرارا بتنظيم جنازة عسكرية **يمنح فيها علم الدولة لأرملة الفقيد ليتشح فيه النعش المهيب ويعاد إليها لتحتفظ به شهادة على بطولة الفقيد على المستوى القومى والرسمى.**

لم تمض سوى خمسة وأربعين يوما على هذا الحدث إلا وقد نشرت إحدى الصحف **المحلية خبرا سربته إدارة الطب الجنائى من أنه** بتشريح جثة السيد جريجورى تأكد وجود نسبة من الكحول فى دمه بلغت 1,8٪ وهى نسبة تصل إلى ضعف الحد الذى لا يجوز معه قيادة السيارة وإلا يتم معه سحب الترخيص لمدة قد تصل إلى عام كامل.

تساءلت الصحيفة عما إذا كانت حالة جريجورى تؤهله آنذاك لأداء عمله بالصورة المثلى. وثارت أسرة جريجورى ومعها جانب من الرأى العام بالمدينة يتهمون الصحيفة بمجافاة شرف المهنة ومحاولة تشويه صورة بطل اتفق على بطولته دون نزاع.

وردت الصحيفة ومعها جانب آخر من الرأى العام بالمدينة يؤيدون حق المواطن الأصيل فى أن يعرف الحقيقة دون تدخل بالمنع أو الحذف أو الإضافة.

وتواترت الأخبار بعد ذلك إثر تحقيق تولته النيابة العامة بالمدينة والذى كان مفاده أن السيد جريجورى كان فى يوم راحته وقت اندلاع حادث الحريق وكان تحديداً ينادى المدينة يشرب الخمر مع أصدقائه وأنه عندما سمع بأمر حادث الحريق عن طريق جهاز اللاسلكى الشخصى الذى يحمله هرع إلى إدارة الإطفاء ليلتحم إلى زملائه فى التوجه لموقع الحادث. وقد دعا هذا الأمر جانباً من الرأى العام أن يعلى من شأن سلوك جريجورى باعتباره ينم عن رغبة وطنية أكيدة رغم وجوده فى حالة إجازة، إلا أن جانباً آخر من الرأى العام ومنهم إحدى الصحف تساءلوا عن موقف قائد الإطفاء فى قبول انضمام أحد أفراده للفريق رغم كونه فى إجازة لاسيما أن حالته لم تكن تتم على أنه فى أحسن حالاته. وأعلى الفريق الأول من شأن سلوك جريجورى من المبادرة بتعريض نفسه للخطر دفاعاً عن أهل مدينته مضحياً بحياته دونهم.

ورد الفريق الثانى بأن هناك فرقاً بين أن يضحى البطل بنفسه وهو واقع تحت تكليف وطنى لأداء واجبه الوظيفى فى بطولة مشهود لها وبين أن يهدر حياته ملقياً بنفسه فى التهلكة على غير استعداد ودون ثمة ضرورة تبرر ذلك.

ورغم استمرار الخلاف لفترة طويلة حول بطولة جريجورى وحقيقة ملابسات استشهاده المؤكدة وما اعتبر فى ذلك من منطق قابل للاختلاف حوله، إلا أن الحقيقة الثابتة انتهت إلى أن بطولة جريجورى ومكانته تأثرت كثيرا عما كانت عليه من قبل أن تتكشف هذه التفاصيل.

وما يفيدنا نحن المتأملون فى هذه الواقعة والمتداولون لها بالتحليل والقياس إنما هو الحقيقة الثابتة من أن سمعة كل منا المهنية والتى تمثل مستوى التقدير الذى يقع عليه كل منا طبقا لتقدير الرأى العام أو الرأى الخاص المهنى والحرفى المعنى بذلك، وأن وصول المرء لأعلى درجات التقدير والاحترام هى فى واقع الأمر عبء أدبى والتزام مهنى قبل أن تكون ميزة يتمتع بها صاحبها ويجنى من وراءها مزايا من هنا أو هناك، كما أن أى إخلال وإن كان بسيطا فى الالتزام المهنى سواء تم هذا بقصد أو بغير قصد أو كان ذلك خلال وقت العمل الرسمى أو خارجه من شأنه أن يهدد المكانة المهنية لصاحبها بأن تذهب أدراج الرياح بل وأن تستقر قيمتها فى النهاية كقيمة سلبية تحسب عليه.

www.naderriad.com